الضمير...

للدكتور عزيز فهمي

صاحبٌ وسْنانُ من طول السَّهرْ
إنْ تنمْ ناداك أو تنسَ ادَّكرْ

كلما غافلته في سكرةٍ   من أمانيك تجنَّى أو عذرْ
فإذا كفَّرتَ عن وزرٍ عفا   وإذا عُدتَ إلى إثمٍ ثارْ
ليس ملموساً فتدرى كُنْهَهُ   وهْوَ ما كنتمتَ يدرى ما تُسِرّْ
وتواريه فيُغضى ساعةً   ثمَّ يستيقظُ في لمح البصرْ
ليس عقلاً أو شعوراً خالصاً   بل تراثاً من شعورٍ وفكرْ
فهْوَ عقلٌ باطنٌ أو مُلهِمٌ   وهْوَ إحساسٌ قديمٌ مُدَّخرْ
كم جرعتَ الصابَ من ترياقهِ   واستسغتَ الشهدَ مما قد هصرْ
أنتما الدهرَ طريدٌ آبقٌ   وغريمٌ طاردٌ أو منتصرْ
أينما وليتَ أحصى مُرجِئاً   موعداً حتماً فأيّانَ المفرّْ ؟

***

يتراءى شاحباً أو إمّعا   فهْوَ كالظلِّ إذا الظلُّ انتشرْ
وهْوَ جبّارٌ عنيفٌ تارةً   وهْوَ أحياناً ضعيفٌ يأتمرْ
وهْوَ إعصارٌ وريحٌ صرصرٌ   وهْوَ كالسيلِ إذا السيلُ انهمرْ
وهْوَ كالبحرِ إذا البحرُ طغى
وهْوَ كالموجِ إذا الموجُ انحسرْ
وهْوَ كالسهمِ إذا السهمُ رمى   وهْوَ كالسيفِ إذا السيفُ بترْ
آمرٌ ناهٍ وعاصٍ طيِّعٌ   وهْوَ الآمرُ وهْوَ المزدجِرْ
لا ينامُ العُمْرَ إلا ساعةً   فترقَّبْها وبالغْ في الحذرْ
ساعةً أن نمتَ عنها غافلاً   عُدتَ كالمخمورِ أو كالمحتضرْ
أيها الساهرُ نمْ أو لا تنمْ   وترفَّقْ وتجلَّدْ واستعِرْ
إنْ جنينا فعلينا وزرُنا   وإذا نحنُ أثِمنا فاعتذرْ

عزيز فهمى

قد كنت شيئاً...

للآنسة الفاضلة «دنانير»

أينَ زمانٌ كابتسامِ الضُّحى   تُظلُّني أغصانُهُ الوارفهْ
أشهى من الدنيا إذا أقبلتْ   أينقضى كاللمحةِ الخاطفهْ

ما كنتُ إذ حاولتُ إبقاءهُ   إلاَّ كمن أُوقظ من رقدتِهْ
مدَّ يديْهِ خلفَ حُلمٍ سرى   يودُّ لو يُبقيهِ في مقلتِهْ

أخشى على قلبيَ من يقظةٍ   تسلُبُه أطيافَ أحلامِهِ
فإنما يحيا بتلك الرُّؤى   ومن رؤاهُ فيضُ إلهامِهِ

يا من نأى الصدُّ به والنوى   هل ضقتَ بالشوقِ وتبريحِهِ
كحاجةِ النفسِ إلى إلفِها   كحاجةِ الجسمِ إلى روحِهِ

لكنَّما قلبُكَ غيضَ الهوى   منه فأضحى ناضبَ المنبعِ
وماتَ مما جفَّ، فانظرْ إلى   حُطامِهِ وابكِ عليه معى

أوْ لا فكيفَ اليومَ عافَ الهوى   وطهَّرَ دنياهُ وعلياَ سماهْ
وراحَ يهوِي في حضيضِ الثرى   يخلِبُهُ جاهُ الغنى والرفاهْ

هلْ يستوى القلبانِ هذا مضى
في الأرضِ يستهويهِ وهجُ الذهبْ
وذاكَ في الأفلاكِ تصعيدُهُ   يفتنُهُ النورُ ووهجُ اللهبْ

رغائبُ العيشِ وأطماعُهُ   راودْنَ منكَ القلبَ حتى غوى
يا ضيعةَ القلبِ إذا لم يكنْ   لعالمِ الحبِّ ودنيا الهوى

دُنيا من الطُّهرِ هيُوليَّةٌ   وكلُّ ما فيها رقيقٌ شفيفْ
خفيَّةُ الألطافِ إلاَّ على   مَنْ مسَّهُ منها الشعاعُ اللطيفْ

وعالمٌ أبدعَهُ ساحرٌ   ينفُثُ فيه من هُنا أو هُنا
لطافةُ السِّحرِ وإعجازُهُ   صاغاهُ جمَّ العطرِ جمَّ السَّنا

قد كنتَ شيئاً راعنى سحرُهُ   صوَّرهُ وهمى وصاغَ الخيالْ
واليومَ ما أنتَ؟ لقد بِنْتَ لى   حقيقةً أفرِغَ منها الجمالْ

(فلسطين)   «دنانير»